المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ الله تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

**من الطرق التي عظم الله تعالى ذاته
بها في القرآن الكريم وهداياتها**

اسم الباحث

د/ محمد أديب محمد شكور محمود امرير

د. محمّد أديب محمّد شكور محمود امرير

من الطّرق التي عظّم الله -تعالى- ذاته بها في القرآن الكريم وهداياتها

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وصحبه،،

وبعد؛ فإنّ من أهمِّ الشعائر، وأفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلىٰ ربِّه -جلَّ وعزَّ- هو تعظيم الله -تعالىٰ-، فهو أهل للتعظيم والمدح والثناء، ولا تتحقق العظمة الكاملة إلا له -سبحانه-، فلا ينازعه، ولا يكافئه في ذلك أحدٌ، فكلّ من يدَّعي العظمة منازعًا له، ومدَّعيًا المكافأة، أو أحد ادَّعاها له فهو متعدٍّ لحدوده، سادر في غيّه، لا يعرف قيمة نفسه، ولا يعرف قدر من ينافس، فهو ينازع العظيم الجبَّار -سبحانه-، وجزاؤه كما جاء في الحديث القدسي الشَّريف: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(١).

والله -تعالىٰ- عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في ملكه وسلطانه، عظيم فيما يخلق، له العظمة الكاملة، فلا يعتريه نقص، ولا يشوبه ضعف، تتضاءل وتتصاغر الخلائق أمام عظمته، وتسجد خشية ورهبة لهيبته.

وقد حثّ المولىٰ -جلَّ وعزَّ- علىٰ تعظيمه في أكثر من موضع في كتابه الكريم، مرشدًا ومعلِّمًا لنا لأفضل الطرق وأحسنها لتعظيمه، وإدراك تلك العظمة والهيبة بشكل صحيح مؤثر، فالله -تعالىٰ- هو أعلم بنفسه، وأدرىٰ بذاته وما يريده لها من تعظيم، فيكون ذلك أثبت في نفس المعظِّم، وأكبر تأثيرًا في قلبه؛ ليؤتي ذلك التعظيم ثماره وأكله، فينفعه في عمله وإخلاصه لله تعالىٰ، ومن هنا جاءت فكرة البحث لنتعبد الله -تعالىٰ- بالطريقة التي أرشدنا الله إليها.

وطرق التعظيم لله -تبارك وتعالىٰ- كثيرةٌ ومتعددة اخترت بعضها، وضربت مثالًا تفصيليًّا لبعض الطرق؛ ليكون مفتاحًا وأنموذجًا يمكن البناء عليه.

أهمية البحث:

يعد البحث مفتاحًا لمعرفة كيفية تعظيم الله -تعالىٰ- بالطرق نفسها التي عظم الله -تعالىٰ- بها نفسه؛ لنقتدي بها في حياتنا، فيزداد إيماننا، ونعمل لله -تعالىٰ- ونعبده حق العبادة بخشية وخوف ورجاء.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٣٨٢) وغيره، وأبو داود (٤٠٩٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الشيخ شعيب: «حديث صحيح».

منهج البحث:

تم استخدام منهجين في الدراسة، وهما:

أولًا – المنهج الاستقرائي، وذلك بالبحث في آيات القرآن الكريم التي عظّم الله -تعالىٰ- نفسه فيها.

ثانيًا – المنهج الاستنباطي: بالنظر في الآيات الكريمة، واستنباط الطريقة التي عظَّم الله -تعالىٰ- نفسه بها من تلك الآيات، والإفادة منها، واستنباط الهدايات من كل طريقة.

أسئلة البحث:

ما أهم الطرق التي عظم الله -تعالىٰ- نفسه بها؟

ويتفرع منه سؤالان:

١ – ما فائدة معرفة الطرق التي عظم الله -تعالىٰ- بها نفسه؟

٢ – ما الهدايات المستنبطة من معرفة هذه الطرق؟

خطة البحث:

يتكوَّن البحث من مقدمة وتمهيد، ومبحثين، علىٰ الشكل الآتي:

التمهيد: ويتحدث عن مفهوم تعظيم الله -تعالىٰ-، فيه ثلاثة مطالب، الأول: تعريف تعظيم الله -تعالىٰ- لغة واصطلاحًا، والثاني: أهمية تعظيم الله -تعالىٰ- وفضله، والثالث: وجوب تعظيم الله -تعالىٰ-.

ثم المبحث الثاني: تعظيم الله -تعالىٰ- لذاته وهداياتها، ويشتمل علىٰ مطلبين، الأول: إثبات صفات الكمال له -جلَّ وعزَّ-، والثاني: نفي صفات النقص عنه -سبحانه-.

أما المبحث الثاني: تعظيم الله -تعالىٰ- لذاته من خلال مخلوقاته وهداياتها، ويشمل مطلبين: الأول: تعظيم الله -تعالىٰ- لمخلوقاته، والثاني: تقليله لشأن مخلوقاته علىٰ عظمها.

ثم الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

التمهيد: تعظيم الله -تعالى- معناه وأهميته

المطلب الأول: تعريف تعظيم الله -تعالى- لغة واصطلاحًا

التعظيم لغة: مأخوذ من الفعل الثلاثي: عظم، والعين والظاء والميم: أصل واحد صحيح يدل على كِبْرٍ وقوّة،[1] والعَظَمَةُ: معناها الكِبْرُ والاتِّساعُ وعلوُّ الشَّأنِ والارتفاعِ، ويقال: عَظُمَ، أي: كَبُرَ واتَّسعَ وعلا شأنُه وارتفعَ، وفي الحديث الشَّريفِ عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[2]، التعظُّمُ في النَّفس: هو الكِبْرُ والنَّخوةُ أو الزَّهْو[3]، والتَّعظيمُ: التَّبجيل[4]، وعَظُمَ الشَّيءُ عِظمًا: كبُرَ، فهو عظيم، واستعظمه: عدَّه عظيمًا، واستعظم وتعظَّم: تكبَّر، والعَظَمَةُ: الكبرياءُ[5]. والعِظَمُ: خلافُ الصِّغر، والعِظَمُ في الأجسام: كِبَرُ الطُّول والعرض والعمق، والله جلَّ عن ذلك، والعظيم من صفات الله -عزَّ وجلَّ-، والعظيم: الذي جاوز قدرُه وجلَّ عن حدودِ العقل حتىٰ لا تتصوَّر الإحاطةُ بكنهِه وحقيقته[6].

وورد لفظ (عظم) ومشتقاتها في القرآن الكريم مئة وثمان وعشرين مرّة، يرجع معناها كلُّها إلىٰ معنىٰ الكِبْرِ والقوَّةِ والاتِّساعِ، ومنها علىٰ سبيل المثال لا الحصر: قول الله -تعالىٰ-: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ومنه أيضًا ما ورد صفةً لله -تعالىٰ-: قول الله -تعالىٰ-: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤]، وغيرها.

يتضح مما سبق أنَّ مادةَ عظم في القرآن الكريم يعودُ معناها اللُّغويّ إلىٰ أصلٍ واحد بأنَّها الكبر والقوة والزّهو، وإن كان في الأجسام فهو كِبَرُ الطول والعرض والعمق، والله جل عن ذلك.

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٣٥٥).

(٢) أخرجه (١٠/ ٢٠٠)، والبخاري في (الأدب المفرد: ١٩٣)، وقال الشيخ شعيب: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٦٠).

(٤) لسان العرب (١١/ ٤٤).

(٥) ينظر: الصحاح (٥/ ١٩٨٧).

(٦) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٤٠٩).

التعظيم اصطلاحًا: هو: معرفة العظمة للمعظَّم، مع التَّذلل له[١].

وهو: التَّوقيرُ والإجلالُ والتَّفخيمُ وعلوُّ المكانة في النُّفوس، والعظمة في الرأي.

أمَّا تعظيم الله -تعالىٰ-، فهو: معرفةُ العظمةِ لله جلَّ وعلا، والتَّذلُّلُ والخضوعُ له، والتَّوقيرُ والإجلالُ والتَّفخيمُ، وعلوُّ مكانتِه -تعالىٰ- في النَّفسِ، وأنه لا ينافسه أحد، ولا ينازعه مخلوق في عظمته.

وهذا التَّعريف الأخير مأخوذٌ من المعنىٰ اللُّغويّ والتَّعريفين السَّابقين للتَّعظيم بشكل عامٍّ.

والثَّابت في تعظيم الله -تعالىٰ- وحده، نوعان:

الأول: أنَّه -تعالىٰ- متَّصف بكلِّ صفةِ كمال، وله من ذلك الكمالِ أكملُه وأعظمُه وأوسعُه.

الثاني: أنَّه لا يستحقُّ أحدٌ من المخلوقات مهما عظُم أنْ يعظَّم كما يعظَّم الله -تعالىٰ-[٢].

والعظيم: اسم من أسماء الله -تعالىٰ-، ذكره الله -تعالىٰ- في كتابه الكريم في مواضعَ عدة، والعظيم: «الجامعُ لجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياء والمجد والبهاءِ الذي تحبُّه القلوبُ، وتعظمُه الأرواح، ويعرفُ العارفون أنَّ عظمةَ كلَّ شيءٍ، وإنْ جلت في الصِّفة، فإنَّها مضمحلةٌ في جانب عظمةِ العليِّ العظيمِ، والله -تعالىٰ- عظيم له كلُّ وصفِ ومعنىٰ يوجب التَّعظيم، فلا يقدر مخلوقٌ أنْ يُثني عليه كما ينبغي له، ولا يحصىٰ ثناء عليه، بل هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه، وفوق ما يُثنىٰ عليه عبادُه»[٣].

يقول الزَّجَّاج: العظيم: المعظَّم في صفةِ الله -تعالىٰ- يفيدُ عظم الشَّأنِ والسُّلطان، وليس المرادُ به وصفَه بعِظَمِ الأجزاءِ؛ لأن ذلك من صفات المخلوقين -تعالىٰ- الله عن ذلك علوًّا[٤].

«الْعَظِيمُ: هُوَ الَّذِي جَاوَزَ قَدْرُهُ وَجَلَّ عَنْ حُدُودِ الْعُقُولِ حَتَّىٰ لَا تُتَصَوَّرَ الْإِحَاطَةُ بِكُنْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ»[٥].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤).

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنىٰ، السعدي (٢١٧).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، السعدي (٢١٦).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، الزجاج (٤٦).

(٥) تحفة الأحوذي (٩/ ٣٣٦).

المطلب الثاني: أهمية تعظيم الله -تعالى- وفضله

لتعظيم الله -تعالىٰ- فضلٌ وأهميةٌ في حياة المرء، قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منزلة التعظيم: «هذه المنزلةُ تابعةٌ للمعرفة، فعلىٰ قدرِ المعرفة يكونُ تعظيم الربّ -تعالىٰ- في القلب، وأعرفُ الناس به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ الله -تعالىٰ- مَن لم يعظمْه حقَّ عظمته، ولا عرفَه حق معرفته، ولا وصفَه حقَّ صفته، قال -تعالىٰ-: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظِّمون اللهَ حقَّ عظمته»(١).

ويمكن بيان أهمية وفضل تعظيم الله -تعالىٰ-، بما يأتي، منها لا علىٰ الحصر:

١- أنَّ تعظيمَ الله -تعالىٰ- يوصلُ المرءَ إلىٰ أعلىٰ درجات الكمال الممكنة في العبادات، إذ في تعظيم الله -تعالىٰ- حثٌّ علىٰ مخالفة النفس وهواها.

٢- في تعظيم الله -تعالىٰ- اتِّباعٌ لأوامرِ الله -جلَّ وعزَّ-، واجتنابًا لما نهىٰ عنه، يقول -تعالىٰ-: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد: ٢٢]، قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعنى بقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾، طلب تعظيم الله، وتنزيهًا له أن يُخالَفَ في أمره أو يأتي أمرًا كره إتيانه فيعصيه به»(٢).

٣- معرفة قَدْرِ الله -تعالىٰ- ومكانتِه التي يضعُها المرءُ له، فإنْ عظّمَه المرء حقَّ التَّعظيم، علم أنَّ منزلتَه فوق كلِّ منزلة، وأعلىٰ من كلِّ مكانة، ففي الحديث الشَّريف: عن جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَىٰ اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟»، وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَىٰ سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا»، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ «وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ»(٣)

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣-٢٦٤).

(٢) جامع البيان (١٦/ ٤٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وضعَّفه الألبانيُّ في (ضعيف سنن أبي داود).

فالأعرابيُّ في قوله: (فإنا نستشفع بالله عليك) جعلَ اللهَ -تعالىٰ- في مقام الشَّافع عند رسول الله ﷺ، وفي هذا تنقيصٌ من قدره جلَّ وعلا، ولذلك سبّح رسول الله ﷺ تنزيهًا لله عن ذلك، وتنبيهًا للأعرابي إلىٰ هذا الخطأ عندما قال له: «**ويحك أتدري ما الله؟! إنَّ شأنَ الله أعظمُ من ذلك**»(١).

٤- التَّعظيم يولّدُ في النفس الخوفَ والخشيةَ من المعظَّم، فيمنعَه من الوقوع في المعاصي والغفلةِ عن ذكر الله -تعالىٰ-.

٥- التَّعظيم لله -تعالىٰ- يجعل في النَّفس فرقًا كبيرًا بين أنْ تكون عبادةُ المرءِ عادةً لا يخشع فيها ولا يتدبَّر، وأن تكون العبادةُ رغبةً ورهبةً، فيتولّد في العبادةِ الخشوعُ والخضوعُ والتذلُّلُ؛ لمعرفة عظمة من يقدِّم له العبادة.

٦- لتعظيم الله -تعالىٰ- أثرٌ عظيم في إجابةِ الدُّعاء، وتفريج الكرب، وإزاحة الهمِّ، فمن يعرفُ عظمةَ المدعوِّ، وقدرتَه فإنَّه يثقُ بأنَّه سيفرِّج همّه ويزيحُ كربه، ويجيب دعوته، ولذلك في الحديث الذي علمنا إياه رسولُ الله ﷺ في حالة الكرب أنْ نقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**»(٢).

المطلب الثالث: وجوب تعظيم الله تعالىٰ

تعظيم الله -تعالىٰ- من العبادات القلبيَّة ومِن أسماها وأعلاها، والإيمانُ يتوقَّف علىٰ هذا التعظيم، ولقد أمرنا الله -تعالىٰ- بتعظيمه، فهو صاحب العظمةِ الكاملة التي لا ينازعه فيها أحدٌ، ولا ينافسه فيها مخلوقٌ، مَن نازعه العظمةَ قذفه في النَّار، كما جاء في الحديث القدسيِّ الشَّريف، الذي يقول فيه الله -عزَّ وجلَّ-: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»(٣).

وهذه بعض الأدلَّةِ في وجوب تعظيم الله -تعالىٰ-، منها:

١- قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر].

---

(١) ينظر: رسالة في تعظيم الله -تعالىٰ-، المحيذيف، مجلة البيان علىٰ الشبكة العنكبوتية.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٠).

(٣) أخرجه أحمد (٩٣٥٩)، وأبو داود (٤٠٩٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحّحه الأرنؤوط.

٢- قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام].

٣- قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

٤- قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].

٥- قال الله تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

٦- قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح].

١- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ**»(١).

في هذه الآيات الكريمات وغيرها، وهذه الأحاديث الشريفة وغيرها دليلٌ واضح علىٰ وجوب تعظيم الله -تعالىٰ- وتقديره حقَّ قدره، فهو من كمالِ الإيمان بألوهيَّةِ الله تعالىٰ، وربوبيَّته، وأسمائه وصفاته، جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه.

(١) أخرجه أحمد (٥٣٦٥)، وأبو داود (٥١٠٩)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين».

المبحث الأول: تعظيم الله -تعالى- لذاته وهداياتها

المطَّلعُ علىٰ كتاب الله -تعالىٰ- والناظرُ في آياته يتبيَّن له أنَّ اللهَ -تعالىٰ- قد أظهر كثيرًا من الدلائل علىٰ عظمته وكبريائه، فهو عظيم في ذاته كما سمَّىٰ نفسه -تعالىٰ-، فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة]، وذَكَرَ مخلوقاتِه التي خلقها، فإذا كانت عظيمةً، فخالقها بالتَّأكيد أعظمُ منها.

ومن هنا: جاء هذا المبحث ليتحدَّث عن بعضِ صفات الكمال التي أثبتها الله لنفسه، وبعضِ الصِّفات التي نفاها عن نفسه لأنَّها تنافي عظمته، ويؤخذ منها، كيف نعظمه تعالىٰ، وهو علىٰ مطلبين:

المطلب الأول: إثبات صفات الكمال له تعالى

أوَّلًا: يقول الله -تعالىٰ- في كتابه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]، وقال في آية أخرىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء]، وهاتان الآيتان الكريمتان تدلَّان دلالةً واضحة علىٰ تعظيم الله -تعالىٰ- لذاته، فهو -جلَّ وعزَّ- يثبتُ لذاته أسماء، وهذه الأسماءُ كلها متَّصفةٌ بالحسن والكمال المطلق، «وهي أحسنُ الأسماء؛ لأنَّها تدل علىٰ معانٍ حسنة من تمجيد وتقديس، وغير ذلك»[1].

ونلاحظ في الآيتين السابقتين تقديم الخبر علىٰ المبتدأ، وفي هذا التقديم فائدتان بلاغيتان عظيمتان، هما:

الأولىٰ: إفادةُ الحصر والقصر، فالأصل في الجملة الاسمية تقديم المسندِ إليه (الأسماء)، ولكن هنا قدم المسنَد (لله)؛ لإفادة التَّخصيص بمعنىٰ القصر، فيكون المعنىٰ: اختُصَّ اللهُ -تعالىٰ- بالأسماء الحسنىٰ وحده، أي: كلُّ الأسماء الحسنىٰ مقصورةٌ عليه تعالىٰ، ولا تتعدىٰ لغيره سبحانه[2].

الثانية – إيجاز القصر، وهو ما ليس بحذف ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، فإنه لا حذفَ فيه، إنما فيه حُسن انتقاء الكلمات، مع إتقان الصِّياغة، فهي علىٰ قصرها وقلَّة ألفاظها تدلُّ علىٰ

---

(١) الكشاف (٢/ ١٨٠).

(٢) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (٢٩٠).

معنىٰ كثيرٍ يزيد علىٰ لفظِه؛ لأنَّ المرادَ به أنَّه إذا علم أنَّ هناك أسماءً حسنىٰ يتصف بها أحدٌ علىٰ حقيقتها، فإنَّه هو الله -تعالىٰ- لا غيره، فالجملةُ أدَّت المعنىٰ المتبادر للذهن وهو أنَّ الأسماءَ الحسنىٰ لله -تعالىٰ-، وهذا أمر عام يشمل الأسماء لله -تعالىٰ- ولغيره، ولكن عندما قدم الخبر (لله) زاد في المعنىٰ إلىٰ نفي أنْ تكون هذه الأسماء الحسنىٰ لغيره -جلَّ وعزَّ-، فزاد علىٰ المعنىٰ المتبادر معنىٰ آخر، فكان في ذلك إيجاز واضح[١].

قال السَّعدي في (تفسيره) لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: «هذا بيانٌ لعظيم جلاله وسعةِ أوصافِه، بأنَّ له الأسماءَ الحسنىٰ، أي: له كلُّ اسم حسن، وضابطُه: أنَّه كلُّ اسم دال علىٰ صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حُسنىٰ، فإنَّها لو دلت علىٰ غير صفة، بل كانت علمًا محضًا لم تكن حسنىٰ، وكذلك لو دلَّت علىٰ صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفةُ نقصٍ أو صفةٌ منقسمةٌ إلىٰ المدح والقدح، لم تكن حسنىٰ، فكل اسم من أسمائه دالٌّ علىٰ جميع الصِّفة التي اشتُق منها، مستغرقٌ لجميع معناها»[٢].

وينبغي علىٰ الإنسان الذي يسمع وصفًا لله -تعالىٰ- وَصَفَ به الله -تعالىٰ- نفسَه، أو وصفه به رسولُه ﷺ، عليه أنْ يملأ قلبه من التَّعظيم الجازم، ويعتقد أنَّ ذلك الوصفَ هو البالغ في الكمالِ المطلق، والجلالِ والشَّرفِ والعلوِّ ويقطع كل ما يخطر في باله من أوهام التَّشابه بينه وبين صفاتِ المخلوقين، ليكونَ بذلك قلبُه منزهًا ومعظّمًا لله -جلَّ وعزَّ-، غير متنجّسٍ بأقذار التشبيه، ليكونَ قلبُه صافيًا قابلًا للإيمان، والتَّصديقِ بصفات الله التي تمدَّح بها[٣].

ولله أسماء كثيرة، فقد ورد في الحديث الشَّريف: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً غَيْرَ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٤]، وهل أسماؤه -تعالىٰ- محصورة بهذه التِّسعة والتِّسعين اسمًا؟ يجيب علىٰ ذلك الحديث الشَّريف الآخر؛ إذ يقول النَّبيُّ ﷺ في دعائه: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**»[٥]. فهذا يدلّ علىٰ أنَّ لله -تعالىٰ- أسماء كثيرة، وليست مقتصرةً علىٰ عدد تسعة وتسعين فقط، يقول الإمام النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ حَصْرٌ لِأَسْمَائِهِ

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ١٨١)، والبلاغة العربية (٤٩٠).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٠٩).
(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (٣٦).
(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).
(٥) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وضعَّفه الأرنؤوط، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٨)، وصحّحه حسين أسد.

-سبحانه وَتعالىٰ- فَلَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرَ هَذِهِ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ وَإِنَّمَا مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَنَّ هَذِهِ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرَادُ الْإِخْبَارُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِإِحْصَائِهَا لَا الْإِخْبَارُ بِحَصْرِ الْأَسْمَاءِ»(١).

الهدايات من معرفة صفات الله لتعظيمه:

١ – تذوُّقُ حلاوةِ الإيمان، والاستمتاعُ بعبادة الله -تعالىٰ-.

٢ – حُسنُ الظَّنِّ بالله -تعالىٰ-، والثِّقةُ التامَّةُ به، وحُسنُ الالتجاء إليه.

٣ – التواضعُ لله أولًا، ثم لعباده المؤمنين.

٤ – الشعورُ بعظمةِ الله -تعالىٰ-، وقوَّتِه وقدرتِه.

٥ – مراقبةُ الذات من أنْ تعصيَ اللهَ -تعالىٰ-.

٦ – عدمُ اليأسِ من رَوْحِ اللهِ -تعالىٰ-، والقنوطِ من رحمته.

ثانيًا: صفات الكمال التي وصف الله -تعالىٰ- بها نفسه وتشعر بالعظمة، وتساعد علىٰ التعظيم له -تعالىٰ-، وهي كثيرة ولكن سأقف مع اسم الله -تعالىٰ- الخالق، كأنموذج لدلالة الأسماء الحسنىٰ علىٰ تعظيم الله -تعالىٰ-؛ كي لا أطيل، وتصل الصورة للقارئ بشكل بسيط وسهل:

اسم الله الخالق:

فقد رد اسم الخالق -تعالىٰ- في القرآن الكريم في مواضع عدَّة، منها:

١- ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

٢- ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد].

٣- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

٤- ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

٥- ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة].

---

(١) شرح النَّووي (١٧/ ٥).

معنى اسم الخالق في اللغة:

مشتق من الثلاثي (خلق)، فالخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء، فأما الأول: فقولهم: خلقت الأديم للسقاء، إذا قدَرْته[١]، والخلق في كلام العرب: ابتداع الشيء علىٰ مثال لم يسبق إليه، وكلُّ شيءٍ خلقه الله فهو مبتدِئُه علىٰ غير مثال سُبق إليه. وقال أبو بكر الأنباري: الخلْق في كلام العرب علىٰ وجهين: أحدهما: الإنشاء علىٰ مثال أبدعه، والآخر: التَّقدير، وقال في قوله -تعالىٰ-: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، معناه: أحسن المقدرين، وقوله -تعالىٰ-: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، أي: تقدرون كذبًا. ابن سِيدَه: خلق الله الشَّيء يخلقه خلقًا بعد أن لم يكن[٢].

يقول الزَّجَّاج في كتابه (تفسير أسماء الله الحسنىٰ): «أصل الْخلق فِي الْكَلَام التَّقْدِير، يُقَال: خلقتُ الشَّيْءَ خلقًا: إِذا قدَّرته. قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، أي: تقدرونه وتهيئونه. فالخلق في اسم الله -تعالىٰ- هو ابتداء تقدير النَّشء، فالله -تعالىٰ- خالقها ومنشئها، وهو متممها ومدبرها ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[٣].

معنى اسم الله الخالق تبارك وتعالى:

يقول الأزهريُّ: «ومن صفات الله: الخالق والخلّاق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللّام لغير الله -جلَّ وعزَّ-»[٤] والخالق من الصفات الفعلية، والتي يتصف بها الله -تعالىٰ- في الأزل، كالخلق والكرم والمغفرة، وقولنا موصوف في الأزل بالصفات الفعلية، فهذا إخبار عن أن وصفه بذلك متقدم؛ لأن الوصف هو الكلام الذي يخبر عنه، وهذا مما تدخله الحقيقة والمجاز، وهو حقيقة عند أصحابنا، وأما اتصافه بذلك فسواء كان صفة ثبوتية وراء القدرة أو إضافية[٥].

الخالق: المقدر للأشياء، المكون لها علىٰ مقدار معين بقدرته، وإرادته، وعلمه وحكمته[٦].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢١٣).
(٢) لسان العرب (١٠/ ٨٥).
(٣) تفسير أسماء الله الحسنىٰ، الزَّجَّاج (٣٥).
(٤) تهذيب باللغة (٧/ ١٦).
(٥) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٦/ ٢٧٢).
(٦) الله أهل الثناء والمجد (١٩٦).

الخالق: هو الذي أوجد جميع الأشياء بعد أن لم تكن موجودة، وقدر أمورها في الأزل بعد أن كانت معدومة[١].

الهدايات من معرفة اسم الخالق:

١- إذا عرف الإنسانُ أنَّ اللهَ -تعالىٰ- هو الخالقُ لكلِّ شيءٍ، وأنَّ هذه المخلوقاتِ التي أمامه رغم عِظَمِها هي مخلوقةٌ له، عظَّم اللهَ -تعالىٰ- في نفسه فعملَ لعبادتِه والخضوع له حقًا، وأنَّه لا يمكنُ أنْ يعظِّم أحدًا كتعظيمِ الله -تعالىٰ-، فكلُّ عظيم في هذه الدُّنيا يتصاغرُ أمام عظمة اللهِ وقدرتِه؛ لأنَّه هو الذي خلقَ وأبدعَ.

٢- يؤمن بالغيبِ الذي أخبر الله -تعالىٰ- عنه في كتابه، أو نبيُّه في سنته من خلقِ الجنَّة والنَّار، والبعث والنشور، فالذي خلق هذا الكون المنظور لنا بعظمته وقدرته قادرٌ علىٰ أن يفعلَ مثل ذلك وأكثر، فهو الخالق لكل شيء، قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

٣- يكمن في نفسه أنَّه الإلهُ الحقُّ الذي يستحقُّ العبادة والدُّعاء، وهو الرَّبُّ الحقيقي الذي ينعم علينا، ويربينا بنعمه وإحسانه، فهو الرَّبُّ والسَّيدُ والمنعم والمصلح والمالك، وهو مستحقُّ التعظيم وحده؛ لاتِّصافه بهذه الصِّفات الجليلة.

المطلب الثاني: نفي صفات النقص عنه جل وعلا

بعد أنْ عرفنا أنَّ الله -تعالىٰ- أثبتَ لنفسه في كتابه الكريم الصِّفاتِ الحسنىٰ، فاتصف بصفاتِ الكمال التي لا يَشْرَكُه فيها أحدٌ، وهو المستحقُّ لها -تعالىٰ-، ولا ينافسه أحدٌ فيها، وإنِ اتَّصف ببعضها أحدٌ من المخلوقات، كانت صفةَ نقصٍ للمخلوق.

وفي مقابل ذلك لا بد من أنْ ننفي عن الله -تعالىٰ- كلَّ صفات النَّقص والعيب ومن كل الأوجه، فلا يعتري الربّ -تعالىٰ- أيُّ نقص أو عيب؛ لأنه الكامل في كل الصِّفات الحسنة، ومن كماله -تعالىٰ- أنْ لا يتَّصف بأي صفةٍ من صفات النقص.

وعندما ننظر في قول الله -تعالىٰ-: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم]، «أي: لم تعبد أصنامًا، ناقصةً في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تُبصر، ولا تملك لعابدها نفعًا ولا ضَرًّا، بل لا تملك لأنفسها شيئًا من النَّفع، ولا تقدر علىٰ شيء من

(١) معنىٰ اسم الخالق والخلاق، بالي، شبكة الألوكة.

الدَّفع، فهذا برهان جليٌّ دالٌّ علىٰ أنَّ عبادةَ الناقص في ذاته وأفعاله مستقبحٌ عقلًا وشرعًا. ودلَّ بتنبيهه وإشارته، أنَّ الذي يجب ويحسن عبادةَ مَن له الكمال، الذي لا يَنالُ العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله -تعالىٰ-»[(١)].

ودلَّ كذلك قول سيدنا إبراهيم -عليه وعلىٰ نبينا الصَّلاة والسلام- أنَّ المعبودَ يجب أن يكونَ متَّصفًا بالسمعِ والبصر والغنىٰ، وقد وصف الأصنام بسلب صفات الكمال في مواضع عدة من القرآن الكريم، كعدم التكلم، وعدم الهداية،[(٢)] كما في قوله -تعالىٰ-: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فمن كان يتَّصف بالنقص بمثل هذه الأمور، فلا يستحقُّ التَّعظيم، ولا يدخل في النفس له هيبة ولا مكانة، ولذلك نفىٰ الله -تعالىٰ- عنه أيَّ صفةِ نقص، وهذا ما دلت عليه النصوص الصَّريحة والعقولُ الصحيحة، واستقرت الفطرةُ السَّليمة عليه، فالربُّ المستحقُّ للتَّعظيم والعبادة لا بدَّ أنْ يكون متصفًا بكل صفاتِ الكمال وعلىٰ أتمِّ الوجوه، وأنْ يتنزَّه عن كلِّ عيب ونقص يمكن أنْ يتصورَه العقل السليم.

هناك بعض الصفات التي وصف الله -تعالىٰ- نفسه بها في كتابه الكريم، كالاستهزاء والمكر والخديعة، فقال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]، فهل يوصف الله تعالىٰ بهذه الصفات؟

ما ورد بهذه الألفاظ يطلق علىٰ الله -تعالىٰ- كما ورد، ولا يجوز أن يُشتق منه لله اسم، فلا يقال عنه -تعالىٰ-: الماكر أو المخادع أو الكائد؛ لأنه لم يرد، وتسميته مكرًا أو كيدًا أو استهزاءً فهو من باب المقابلة من مثل قول الله -تعالىٰ-: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]، وقيل: إنَّه علىٰ بابه، فمثلًا: المكرُ في أصله إظهار أمر وإخفاء خلافه؛ ليتوصل إلىٰ ما يريده الماكر، وينقسم إلىٰ قسمين: محمود ومذموم، فالمحمود إيصاله إلىٰ من يستحقُّ العقوبة، وهذا يجوز نسبته إلىٰ الله -تعالىٰ- ولا نقص فيه، والمذموم إيصاله إلىٰ من لا يستحقّه، فلا ينسب إلىٰ الله؛ لأنَّه صفة نقص وذمّ[(٣)]، والثاني هو الصَّواب، أي: المكر علىٰ بابه، بأنَّه إظهار أمر وإخفاء خلافه، والله أعلم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٤٩٤).

(٢) ينظر: مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٦/ ٨٢).

(٣) ينظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (١٨٤).

وخلاصة القول في هذا: إنه لا يجوز إطلاق اسم الماكر أو الخادع أو ما أشبهه من الألفاظ التي تحتمل الخير والشر، والكمال والنقص علىٰ الله -تعالىٰ- إلا أن تكون مقترنة بما قرنها الله -تعالىٰ- به، كخير الماكرين وخير الناصرين، وما شابهه، فنسمِّي الله -تعالىٰ- بها كما ذكرها هو -جلَّ وعزَّ-.

هدايات نفي صفات النقص عن الله -تعالىٰ-:

١- إنَّ مما يستقرُّ في العقل أنَّ الإلهَ كاملُ الصِّفاتِ الحسنة، فلا يتَّصفُ بصفات النَّقص، فكيف يعظِّم الإنسانُ ربًّا يتَّصف بصفات النَّقص، كالنَّوم وعدمِ الكلام، وغيرها؟

٢- إنَّ وجودَ نقص في الرَّب تجعله محتاجًا لأحدٍ يُكمل هذا النَّقص، فبما أنَّه محتاجٌ لأحدٍ فلا يستأهل أن يكون معظَّمًا في نفس أحد.

٣- نَحْذَرُ من إطلاق الصفات التي تحتمل النقص بشكل عام علىٰ الله -تعالىٰ-، كالمكر والاستهزاء وما شابه؛ لأنها تتنافىٰ مع التعظيم لله -تعالىٰ-، فنطلقها كما أطلقها الله -تعالىٰ-، فنقول: خير الماكرين، وخير الناصرين، أو كما ذكرها -تعالىٰ- في الآيات الكريمات، كقوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، في سياق آياتها، والله أعلم.

٤- نفي كلِّ ما يتنافىٰ مع تعظيم اللهِ -تعالىٰ- من صفاتٍ.

من الصفات التي نفاها الله -تعالى- في كتابه الكريم:

جاء في القرآن الكريم نفيُ كثير من الصِّفات عن الله -تعالىٰ-، مثل: أنْ تأخذَه سِنَةٌ، أو يغلبَه نومٌ، أو موتٌ، أو جهلٌ أو نسيانٌ، وغيرها من صفاتِ النَّقص الظَّاهرة، يقول الراغب في (تفسيره): «قيل: لما كان إدراكُ الإنسان للبارئ -تعالىٰ- أنْ يعرفَ الموجودات، فيعلمَ أنَّه ليس إياها، ولا مشبَّهًا بشيء منها، صار صفاتُ التنزيه له أشرف من صفات التمجيد له؛ إذ كان عامةُ صفات التَّمجيد في ألفاظها مشاركةً، يصحُّ وصف العباد بها، ولأجل ذلك عظَّم ما ورد من صفاته علىٰ لفظ النَّفي، نحو: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]»[(١)].

وسأكتفي بالوقوف مع صفتين ذكرتا في آية واحدة، وبيانُ أثرها في تعظيم الله تعالىٰ، وهي:

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٤٦٦).

- ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

يقول الله -تعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والصفتان المذكورتان هنا هما لا تأخذه السنة، ولا يأخذه النوم:

والسِّنَةُ في اللغة: مأخوذ من الثلاثي (وَسَنَ)، والوسن: أول النَّوم، والهاء في السِّنَةِ: عوض عن الواو المحذوف، والسِّنةُ: النُّعاس من غير نوم، قال -تعالىٰ-: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، أي: لا يأخذه نعاسٌ ولا نوم، وتأويله بأنه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق، -تعالىٰ- وتقدس[(١)].

والسِّنَةُ (بالكسر والتخفيف): ابتداءُ النُّعاس في الرأس، فإذا خالطَ القلب صار نومًا، وفي قوله -تعالىٰ-: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ المنفيُّ أولًا إنما هو الخاصُّ، ثانيًا العامُّ، ويعرف ذلك من قوله: (لا تأخذه)، أي: لا تغلبُه، فلا يلزم من عدم أخذ السِّنَةِ التي هي قليل من نوم أو نعاس عدم أخذ النوم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾، بتوسط كلمة (لا) تنصيصًا علىٰ شمول النفي لكل منهما، والحقُّ أنَّ المرادَ بيانُ انتفاء عروضِ شيءٍ منهما له -تعالىٰ-، لا لأنهما قاصران بالنسبة إلىٰ القوة الإلهية، فإنه بمعزل عن مقام التنزيه، وتقديم السِّنَة للمحافظة علىٰ ترتيب الورود الخارجي[(٢)].

النُّوم لغة: مأخوذ من الثلاثي (نوم)، وهو أصل صحيح يدلُّ علىٰ جمودٍ وسكونِ حركة[(٣)]، والنوم: «هو حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة، بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأسًا»[(٤)].

يقول ابن قيم الجوزية: «النَّوْمُ حَالَةٌ لِلْبَدَنِ يَتْبَعُهَا غَوْرُ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ وَالْقُوَىٰ إِلَىٰ بَاطِنِ الْبَدَنِ لِطَلَبِ الرَّاحَةِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: طَبِيعِيٌّ، وَغَيْرُ طَبِيعِيٍّ. فَالطَّبِيعِيُّ إِمْسَاكُ الْقُوَىٰ النَّفْسَانِيَّةِ عَنْ أَفْعَالِهَا. وَأَمَّا النَّوْمُ غَيْرُ الطَّبِيعِيِّ، فَيَكُونُ لِعَرَضٍ أَوْ مَرَضٍ»[(٥)].

وبعد أنْ عرفنا معنىٰ السِّنَة، والنوم، وأنَّهما صفتان تعتريان المخلوقات، وتُذهبان العقلَ فيتصرف المخلوق وفق لا إرادة، ولا يدري ما يفعل، وما يُفعل به، فمن هنا لا يجوز أنْ تأخذَ الخالق -جلَّ وعزَّ- أيُّ صفةٍ من هذه الصِّفات، ونفيُ الله -تعالىٰ- أنْ تأخذه سنة أو

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٣/ ٤٤٩).
(٢) الكليات (٤٤٩).
(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٣٧٢).
(٤) الكليات (٩٠٩).
(٥) زاد المعاد (٤/ ٢٢٠).

نوم، فهو توكيد لقيُّوميَّته التي ذكرها في الآية نفسها ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ علىٰ كلِّ شيء، وقيامِ كلِّ شيء به -تعالىٰ-، وهو توكيد في صورة تعبيريَّة يقرِّبها لإدراكنا البشري بأنَّ هذا القيام دائمٌ غير منقطع، وكذلك يُظهر لنا هذا النَّفي للصفتين مخالفةً حقيقيةً بأنَّ الله -تعالىٰ- مخالف لكل شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وفيها تضمين لنفي السِّنة الخفيفة أو النفي المستغرق، وتنزيه الله -سبحانه- عنهما إطلاقًا

ونفي استيلاء السنة والنوم علىٰ الله -تعالىٰ- تحقيق لكمال الحياة، ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم؛ فإن السِّنةَ والنَّومَ يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير عن العلم بما يحصل وقت استيلائهما علىٰ الإحساس... والمقصود أن الله -تعالىٰ- لا يحجب علمه شيء حجبًا ضعيفًا ولا طويلًا ولا اكتسابًا"[(١)]، "ولأن السِّنةَ والنَّومِ إنما يعرضان للمخلوق الذي يعتريه الضعف والعجز والانحلال، ولا يعرضان لذي العظمة والكبرياء والجلال"[(٢)].

الهدايات من نفي صفتي السِّنة والنَّوْم:

١- نفي هاتين الصفتين ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هو إثبات وتوكيد للصفتين السابقتين في الآية الكريمة ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

٢- نفي هاتين الصفتين دليل علىٰ عدم مشابهة الله -تعالىٰ- للمخلوقات التي يعتريها السنة والنوم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٣- صفتا الِّسَنة والنوم من صفات النَّقصِ التي تعتري المخلوقات، فلا يمكن أنْ يتَّصف بها الخالقُ -سبحانه-.

٤- نفيُ صفاتِ النَّقصِ أكثرُ دلالةً علىٰ تعظيم الله تعالىٰ؛ لأنَّ الصِّفاتِ المثبتةَ لله تعالىٰ يمكن أنْ يَشْركَه المخلوق في الاسم، أما في النَّفي فلا يمكن أنْ يَشْرَكَه ولا بأي وجه من الوجوه.

٥- إذا عرف العبد أنَّ اللهَ -تعالىٰ- لا تأخذه السِّنَةُ ولا النَّوم شَعَرَ بعظمةِ الله -تعالىٰ-، فراقبَ نفسَه وحذَّرها منِ ارتكابِ المعاصي، وأخلصَ في العبادةِ لله -تعالىٰ-، وتوجَّه إليه بصدق وإخلاص.

---

(١) التحرير والتنوير (٣/ ٢٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٩٥٣).

المبحث الثاني: تعظيم الله -تعالى- لذاته من خلال مخلوقاته، وهداياتها

تحدَّثَ القرآن الكريم في كثير من آياتِه الكريمة عن مخلوقات الله -تعالىٰ-، وعِظَمِها، وما تحمل من دلالات علىٰ قدرة الله -تعالىٰ-، فقال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال عزَّ من قائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وقال جلَّ وعزَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [المُلك]، ولولا عِظَمُ هذه المخلوقات ودقةُ صنعِها؛ لما أمرنا الله -تعالىٰ- بالتَّفكُّرِ فيها، وأنَّ عِظَمَها دلالةٌ واضحةٌ علىٰ عِظَمِ خالقِها، وتعظيمه، فالخالق أعظمُ من المخلوق، وعظمة المخلوق دلالةٌ علىٰ عِظَمِ الخالق.

المطلب الأول: تعظيمه لمخلوقاته

من الدَّلائلِ الواضحةِ علىٰ عظيم خلقِ الله -تعالىٰ- وقدرته وعَظَمته تلك الخلائق العظيمة التي تظهر لمن يتفكر فيها، سواء كانت واضحةً بيِّنةً للعيانِ والمشاهِد، من مثل: خلق السماوات والأرض والجبال والإنسان والحيوان، و... ، أو كانت تحتاج إلىٰ بحث دقيق، وتفكير عميق، وتدبر طويل، من مثل: الإبل، والبعوضة، و...

وقد حثَّ الله -تعالىٰ- في كتابه الكريم عبادَه علىٰ التَّفكُّر والتَّدبُّر في تلك المخلوقات، وعجيبِ صنعها، ومن خلال التَّفكُّر والتَّدبُّر بآيات الله -تعالىٰ- الكونية، يحصُل للمتفكِّر معرفةُ الله -تعالىٰ-، وعظمتُه وقدرتُه، ويزداد خشوعه، وتذلُّلُه، وخوفُه، وتتحقَّق العبوديَّة الحقَّةُ لله -تعالىٰ-، ويزيدُ الإيمان، ويرسخُ في القلب اليقينُ، فعندما يعرف المتدبِّرُ والمتفكِّر عظمةَ المخلوق، فإنَّه بالتأكيد سيتبيَّن عظمة الخالق -سبحانه-، ولذلك عظم ربنا -سبحانه- مخلوقاتِه بذكرها في كتابه الكريم؛ ليدلِّلَ علىٰ عظمته -جلَّ وعزَّ-، ويعلِّمنا -سبحانه- كيف نعظّمُه ونعطيه حقَّه الكامل في التَّعظيم من خلال ما في مُلكه من آيات، ونعلمُ أنَّه لا إله إلا هو الواحدُ الأحدُ الذي يستحقُّ العبادة، وهو مدبِّر الأمور ومصرِّفُها، فقد قال -تعالىٰ- حاثًّا لنا علىٰ التفكر في آيات كثيرة منها: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية]،

فكلُّ مخلوقٍ من هذه المخلوقات آيةٌ في خَلقه، معجزٌ في تصرُّفاته، وبالطَّريقة التي يعيشها، سواء للكائنات الحيَّةِ البشريَّة أو الحيوانيَّة أو الجمادات، وأنَّ اللهَ -تعالىٰ- يدبِّرُ أمورَ هذه المخلوقات جميعِها في آنٍ واحد، وما تحتاج إليه، وبدقَّة متناهيةٍ، فلا يتجاوزُ أيُّ مخلوقٍ من المخلوقات قدْرَه ومكانتَه رغم عِظَمِ تلك المخلوقات من حيثُ الحجمُ كالسَّماءِ والأرض، أو من حيث التَّعقيدُ ودقةُ الصَّنعةِ كالنَّحلِ والبعوضةِ والإبلِ، ولأنَّ قدرةَ الله -تعالىٰ- بمثابةِ السُّلطة العليا، والحُكم المطلق الذي لا يمكن أنْ يعلوَ عليه أيُّ حُكمٍ آخر في الكون، كما يقول الله -تعالىٰ-: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء].

وقد أرشدنا الله -تعالىٰ- في كتابه الكريم إلىٰ بعض خصائصِ هذه المخلوقات غير العاقلة، ليساعدنا ذلك في عملية التفكر، ومن ثَمّ تعظيم الله -تعالىٰ-، والخضوع له، ومن هذه الخصائص، ما يأتي:

١- أنَّها تسجد لله -تعالىٰ-، فقال عزَّ من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج]، فإذا كانت هذه الكائنات كلُّها تسجد لله، فأنت أيُّها الإنسان أولىٰ بك أنْ تسجدَ وتخضعَ لله وتعظِّمَه لما وهبك الله -تعالىٰ- من العقل.

يقول الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ألم تر -يا محمَّد- بقلبك، فتعلم أنَّ اللهَ يسجد له من في السماوات من الملائكة، والشمس والقمر والنجوم، ومن في الأرض من الخلق من الجنِّ الإنس، والجبالِ، والشَّجرِ، والدَّوابِّ في الأرض، وسجود ذلك ظلاله حين تطلُعُ عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحولَّ ظلُّ كلِّ شيء فهو سجوده»(١). «وقد نص علىٰ هذه الأشياء؛ لأنها قد عُبِدَتْ من دون الله، فأبانَ -تعالىٰ- أنَّها تسجدُ لخالقها، وأنَّها مربوبةٌ مسخرة منقادة لله -تعالىٰ-»(٢).

٢- أنَّها خاشعةٌ لله -تعالىٰ-، فقد قال الله -تعالىٰ-: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال عزَّ من قائل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ

(١) جامع البيان (١٨/ ٥٨٦).
(٢) التفسير المنير (١٧/ ١٧٧).

بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة]، «وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ المعاني: تسبيح السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجَمَادَاتُ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ سوىٰ العقلاء ما دامت تدل بِلَطِيفِ تَرْكِيبِهَا وَعَجِيبِ هَيْئَتِهَا عَلَىٰ خَالِقِهَا، فَيَصِيرُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ التَّسْبِيحِ مِنْهَا. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَنْقُولُ عَنِ السلف، واعلم؛ أن الله -تعالىٰ- أودع عِلْمًا فِي الْجَمَادَاتِ لَا يَقِفُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَيَنْبَغِي أَنْ يُوكَلَ عِلْمُهُ إِلَيْهِ. وَلكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ، أَيْ لَا تَعْلَمُونَ تَسْبِيحَ مَا عَدَا مَنْ يُسَبِّحُ بِلُغَاتِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ، إِنَّهُ كانَ حَلِيمًا غَفُورًا»[1].

فإذا علمَ الإنسان المتفكِّرُ أنَّ هذه المخلوقاتِ تخشع لله وتخضع، عرفَ وتيقَّنَ أنَّ عظيمًا خالقًا تخضعُ وتخشع له هذه المخلوقاتُ العظيمة، أليس عليه هو أنْ يخشعَ لله -تعالىٰ- ويعظِّمَه حقَّ التَّعظيم؟

٣- هذه المخلوقات مستسلمةٌ لله -تعالىٰ- وتقرُّ بذلك، فقال الله -تعالىٰ-: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [آل عمران]، وقال -تعالىٰ-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ [فُصِّلَت: ١١]، فاسْتسلمْ أيُّها الإنسان استسلامًا طوعيًا لله -تعالىٰ-.

الهدايات من تعظيم الله -تعالى- لمخلوقاته:

١- إنَّ تعظيمَ الله -تعالىٰ- لهذه المخلوقاتِ يجعلُنا نعظِّمُ اللهَ -تعالىٰ- في نفوسنا أكثر، ويقرُّ ذلك في قلوبنا، ويتمكن.

٢- عندما نعلم أنَّ هذه المخلوقاتِ تخضع للهِ -تعالىٰ- وتخشع وتسجد، وتتذلَّلُ خوفًا وتعظيمًا لله -تعالىٰ- طائعة مستسلمة منقادة، نعرف أنَّ الواجبَ علينا أنْ نكون نحن أولىٰ بهذا التَّعظيمِ والاستسلام والخشية والتذلِّل لله -سبحانه-.

٣- هذا التَّعظيم لهذه المخلوقات، وذِكرُ تلك الصِّفاتِ الحسنة التي مدحها الله -تعالىٰ- فيها، يعطينا الدافع إلىٰ أخذ هذه الصِّفات، والاقتداء بها، إذ لولا محبة الله -تعالىٰ- لهذه الصِّفاتِ ما خلقها فيها، ولا ذكرها في كتابه، وجعلها سجيَّةً لها.

---

(١) معالم التنزيل (٣/ ١٣٦).

٤- في التفكر في هذه المخلوقات وعظمها يزيد من إيمانِ المؤمن، ويرسخُه في قلبه، فيتقرّب إلىٰ الله -تعالىٰ- بالطاعات أكثر، وبخشوع أفضل، وتعظيم أعلىٰ، ويبتعد عن المعاصي والمحرمات.

السماوات والأرض:

تجلَّت عظمةُ الله -تعالىٰ- في جميع مخلوقاتِه، فبيدِه ملكوتُ السَّماواتِ والأرضِ، وتظهر عظمتُه في الآيات المبثوثة في الكون الفسيح، ومنَ المخلوقات التي عظَّمها الله -تعالىٰ-، وذكرَها مرارًا في كتابه العزيز، ليدلِّلَ علىٰ عظمتِه وقدرتِه، هي السماء والأرض:

يقول الله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، ويقول -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ [الغاشية]، وقال جلَّ شأنه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وقال -سبحانه-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وغيرها من الآيات التي تحدثت عن السماء والأرض.

ورد ذِكرُ السَّماءِ والسَّماواتِ في القرآن الكريم ما يزيد علىٰ ثلاثِ مئةِ مرَّة، وورد ذِكْرُ الأرضِ بما يزيد علىٰ أربع مئةٍ وخمسين مرّة، وهذا العددُ الكبير يدلُّ علىٰ اهتمام القرآن الكريم بشكل واضح لخلقِ السماءِ الأرضِ، وحثَّ القرآنُ كذلك علىٰ التَّدبُّر والتَّفكُّرِ في خلقِ السماوات والأرض، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، والتَّفكُّرُ في خلق الله -تعالىٰ- عبادةٌ، جعل الله لها ثوابًا كبيرًا، فهو يزيدُ المؤمن خشيةً لله وتعظيمًا له، فكلما عرف المؤمن ربَّه أكثر، ازداد خوفًا منه، ورجاء له، وهذا يتضح في قوله -تعالىٰ-: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر].

إن المتأمِّلَ لقول الله -تعالىٰ-: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ ليجدُ أنَّ خلقَ السماوات والأرض خلقٌ من خلق الله عظيم، فالمخلوقُ العظيم يدلُّ علىٰ خالقٍ أعظم، وعندما يحثُّ ربُّنا -تعالىٰ- بالتَّفكُّرِ في خلق السماوات والأرض، فإنَّ ذلك لأجلِ الوضوحِ الظَّاهرِ من هاتين الآيتين للناظر إليهما، فنحن نراها، ونستطيعُ أنْ نقايسَ

أنفسَنا وحجمَنا إليهما، فالإنسانُ علىٰ نفسه بصيرة، وهو يعلم أنَّ ما وهبَه اللهُ -تعالىٰ- من قوَّة وقدرةٍ استطاع من خلالها أنْ يفعلَ أشياءَ كثيرة يعدُّها من الأمور العظيمة، كبناءِ الأهراماتِ، والسُّدود، والطائرات، وغيرها كثير، فتجبَّرَ وتعظَّمَ، فعندما يتفكر في هذين المخلوقين ويقايس نفسه إليهما، سيجد حقيقة حجمه لحجمها، والتعقيدَ الموجود في هذا الكون الذي يعيشه، فيتصاغر ويتضاءل، ولكنَّه عندما يعود إلىٰ رشده، ويؤوب إلىٰ عقلِه يتذكَّر أنَّ اللهَ أكرمَه بعنصر علوي، هو العقل مميزًا له عن هذه المخلوقات

إنَّ النظرَ في هذا الكون الواسع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يكفي لإدراك حقيقةِ عظمةِ الله تعالىٰ، وأنَّ اللهَ جل جلاله فوق كلِّ تصوُّرٍ، وأكبر من كلِّ كبير، وأعظم من كلِّ عظيم.

ويقول الله -جلَّ وعزَّ-: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩﴾ [فُصِّلَت]، وهنا يُبرز الخالق -سبحانه- عظمة المخلوق؛ ليدلِّلَ علىٰ عظمة الخالق بشكل واضح وجلي، فبالرغم من قدرته ومشيئته -تعالىٰ- أنْ يخلقها كلَّها بلحظة واحدة، ولكن مع تلك القدرة وأنَّه قدير، فهو حكيم ورفيق، ومن حكمته ورفقه أنْ جعلَ خَلقها في هذه المدَّة المقررة[1].

ويُظهر الله -تعالىٰ- عظمة خلق السماوات والأرض مثبتًا من خلال هذا التعظيم عظمته -تعالىٰ-، فقال: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾ [النازعات]، وفي هذه الآيات تتكشَّفُ لنا طريقة القرآن البديعة في ذكر ملكوت السَّماوات والأرض، وتوظيف ذلك في الإيمان بالله -عزَّ وجلَّ-، وعظمتِه وقدرتِه التي لا تضاهيها قدرةٌ ولا عظمةٌ، وأنَّ هذا الخلقَ البديعَ لم يُخلقْ عبثًا، ولن يذهبَ سدًىٰ، فهو خَلْقٌ حقٌّ، وتمام الحق يقع بعد الطامةِ الكبرىٰ، فإنَّ أفعاله كلَّها معلَّلةٌ محكمةٌ[2]، فأتبع هذه الآيات بما سيكون فيما بعد بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾ [النازعات: ٣٤].

وبيَّن الله عظمتَه -تعالىٰ- في خلق السَّماوات، فقال -تعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٧٤٥.

(٢) ينظر: سورة النازعات [٤]، أ.د. أحمد القاضي، موقع العقيدة والحياة.

لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد:٢]، وقال -تعالىٰ-: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء]، وآيات أخرىٰ تبين عظمة هذين المخلوقين، وكذلك بيَّن أنَّهما منقادتان طائعتان لله -تعالىٰ-، فقال عزَّ من قائل: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فُصِّلَت].

الهدايات من خلق السماوات والأرض:

١- أنَّ السَّماواتِ والأرضَ أعظمُ المخلوقات المشاهدة للإنسان، وقد ذكرها الله -تعالىٰ- وبيَّن عظمتها، وأنَّهما طائعتان لله -تعالىٰ- خاضعتان، لا يعصيان ربَّهما في شيء.

٢- أنَّ السماواتِ والأرضَ كانتا رتقًا، أي: كانتا شيئًا واحدًا ملتزقتين، ففتقناهما، فصلنا بينهما بالهواء، والرَّتق في اللُّغة: السَّدُّ، والفتق: الشَّقّ[1]. وهذه تدلُّ بشكل جليٍّ علىٰ عظمة الله -تعالىٰ- في كيفية فتقهما بعد أنْ كانا شيئًا واحدًا، نعيش في الأرض ونتنفس الهواء، والسماءُ فوقنا سقفٌ محظوظٌ من الله -تعالىٰ- أنْ يقع علىٰ الأرض.

٣- دقَّةُ صنع الله -تعالىٰ-، فقد زيَّن اللهُ -تعالىٰ- السماء بمصابيح، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك:٥].

٤- أنَّ السَّماواتِ والأرضَ مخلوقتان ضمن نظام دقيقٍ، لا مجال للأخطاء في ذلك، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج].

المطلب الثاني: تقليله من شأن مخلوقاته على عظمها.

بعد أنْ عرفنا في المطلب السَّابقِ عظمةَ المخلوقات التي خلقها الله -تعالىٰ-، من حيث الحجمُ والتعقيد، ودقةُ الصَّنعة، وغيرها، سنتكلم في هذا المطلب عن ضعفِ هذه المخلوقات، وقلَّةِ شأنها، وتصاغُرِها أمام عظمةِ الله -جلَّ وعزَّ-، فهناك آياتٌ، وأحاديثُ تدلُّ بشكلٍ واضحٍ وجليٍّ علىٰ عظمة الله -تعالىٰ- أمام هذه المخلوقات، والتي تتضاءلُ أمام عظمةِ الرَّبِّ -تعالىٰ- وتتصاغرُ، فهي تأتمر بأمره، وتخضع لعظمته، وترتجف لهيبته، وتصعق الأملاك خوفًا ومهابة من كلمه، وينفذ تصرُّفُه، وقدرته فيهم؛ لعلمه وحكمته.

(١) معالم التنزيل (٣/ ٢٨٧).

ومن هذه الآيات:

يقول ربُّنا -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزُّمَر: ٦٧]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ - الْمُفَسِّرَةِ لَهَا الْمُسْتَفِيضَةِ الَّتِي اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَىٰ صِحَّتِهَا وَتَلَقِّيهَا بِالْقَبُولِ - مَا يُبَيِّنُ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِالنِّسْبَةِ إلَىٰ عَظَمَةِ اللهِ -تعالىٰ- أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَعَ قَبْضِهِ لَهَا إلَّا كَالشَّيْءِ الصَّغِيرِ فِي يَدِ أَحَدِنَا حَتَّىٰ يَدْحُوَهَا كَمَا تُدْحَىٰ الْكُرَةُ»[(١)]. وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقْبِضُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتعالىٰ- الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**»[(٢)].

والقبضة صفة فعلية خبرية لله -عزَّ وجلَّ-، ثابتةٌ في الكتاب والسُّنَّة[(٣)]، ولا يقال: إنَّ قبضةَ الله كقبضتنا؛ لأنَّ كلَّ شيء منه -عزَّ وجلَّ- لا يشبه شيئًا منا[(٤)].

ويقول -جلَّ وعزَّ-: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إخبارٌ بأنَّ الجميعَ عبيدُه، وفي ملكه، وتحت قهرِه وسلطانه. وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه -عزَّ وجلَّ-، أنَّه لا يتجاسرُ أحدٌ علىٰ أنْ يشفع عنده إلا بإذنه له، وفي الشفاعة، كما في حديث الشفاعة: «**فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَىٰ رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ**»[(٥)]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، دليلٌ علىٰ إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٩)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) ينظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (٢٧٣).

(٤) ينظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (٦٨).

(٥) جزء من حديث، أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (٣٢٢/ ١٩٣)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٩).

- وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم]، يقول السِّعدي في (تفسيره): «أي: ومن آياته العظيمة أن قامت السَّماوات والأرض واستقرتا وثبتتا بأمره فلم تتزلزلا ولم تسقط السَّماء علىٰ الأرض، فقدرته العظيمة التي بها أمسك السماوات والأرض أن تزولا يقدر بها أنه إذا دعا الخلق دعوة من الأرض إذا هم يخرجون: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]»[(١)]. «ثُمَّ أَخْبَرَ -تعالىٰ- عَنْ قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي بِهَا تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ عَنْ أَمْرِهِ وَمَا جُعِلَ فِيهِمَا مِنَ الْقُوَّةِ الْمَاسِكَةِ لَهُمَا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[فاطر: ٤١]، أَيْ: أَنْ تضطربا عن أماكنهما، كما في قوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[الحج: ٦٥][(٢)].

ومن الأحاديث التي تدلّ علىٰ عظمة الله -تعالىٰ- علىٰ مخلوقاته رغم عظم هذه المخلوقات:

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٧][(٣)].

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»[(٤)].

ومن الحديثين الشريفين تتبيَّن عظمةُ الله -تعالىٰ-، وتتصاغرُ تلك المخلوقات العظيمة أمام العظمةِ الحقيقية، عظمةِ الخلَّاق -تبارك وتعالىٰ-، وهذا الخَلقُ من عظمة الله وقدرته، فحجم السماوات والأرض، وحجم ذلك الملك الذي المسافة بين شحمة أذنه وعاتقه هكذا، فكم

(١) تيسير الكريم الرحمن (٦٤٠).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٩٤).
(٣) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، وقال ابن كثير في (التفسير ٨/ ٢٢): «وهذا إسنادٌ جيد، رجاله كلهم ثقات».

تكون خلقة هذا الملك طولًا وعرضًا؟ كلُّ ذلك يدلُّ علىٰ عظمة الخالق -تعالىٰ-، وذِكْرُ مثلِ هذه الأحاديث المرادُ به التقريب للناس عظمة الله -تعالىٰ-، وزرع تلك العظمة في نفوس المؤمنين؛ لما في ذلك من زيادة إيمان لهم وخشوع، وتقرب إلىٰ الله -تعالىٰ- وابتعاد عن المعاصي والذنوب في السر والعلن، فمن كانت قدرته خلق مثل هذه المخلوقات العظيمة، فإن قدرته علىٰ العاصي كبيرة، ومحيط به إحاطة كاملة، فلا مهرب ولا منجىٰ منه إلىٰ إليه؛ لذلك قال -تعالىٰ-: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات].

الهدايات من تقليل شأن المخلوقات:

١- بيانُ عظمةِ الله -تعالىٰ-، وقدرتِه، وسيطرتِه علىٰ جميع المخلوقات.

٢- أنَّ هذه المخلوقاتِ مهما بلغت من العظمةِ والقدرةِ، فهي أمام خالقها شيءٌ بسيطٌ تخضعُ له، وتذلُّ لهيبته، وتأتمرُ بأمره.

٣- التفكر في عظمة هذه المخلوقات، وكيف أنَّ اللهَ -تعالىٰ- قادرٌ عليها يُبعد عن أذهاننا أيَّ تشبيهٍ يمكن أنْ يخطر في بالنا لله -تعالىٰ- بأيِّ مخلوقٍ من المخلوقات، فإنْ قلنا بعظم السماوات فهو أعظم، وهكذا.

٤- إحاطة الله -تعالىٰ- بكلِّ هذه المخلوقاتِ وتحكُّمه بها دلالةٌ واضحة علىٰ عظمته وقدرته وعلمه.

٥- فإذا علم الإنسان أن الله أعظم من كل هذه المخلوقات ازداد في تعظيمه لخالقه، وازداد حرصًا علىٰ طاعته، وخشيته والخوف منه في السِّرِّ والعلن؛ لأنَّه علم من هذه العظمةِ أنَّه قادرٌ علىٰ كلِّ شيءٍ، وعالمٌ بكلِّ شيءٍ، ولا يخفىٰ عليه شيءٌ، جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه.

النتائج والتوصيات

أولا: النتائج:

١- تعظيم الله -تعالىٰ-، فهو: معرفةُ العظمةِ لله جلَّ وعلا، والتَّذلُّلُ والخضوعُ له، والتَّوقيرُ والإجلالُ والتَّفخيمُ، وعلوُّ مكانتِه -تعالىٰ- في النَّفسِ، وأنه لا ينافسه أحد، ولا ينازعه مخلوق في عظمته.

٢- والثَّابت في تعظيم الله -تعالىٰ- وحده، نوعان:

الأول: أنَّه -تعالىٰ- متَّصف بكلِّ صفةِ كمال، وله من ذلك الكمالِ أكملُه وأعظمُه وأوسعُه.

الثاني: أنَّه لا يستحقُّ أحدٌ من المخلوقات مهما عظُم أنْ يعظَّم كما يعظَّم الله تعالىٰ.

٣- التعظيم لله -تعالىٰ- مهم في النفس البشرية لما فيه من اتباع لأوامر الله -تعالىٰ-، واجتناب لنواهيه، ويولد في النفس الخوف والرجاء، ويعطي الثقة بالله -تعالىٰ-، وحسن الظن به.

٤- في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل علىٰ وجوب تعظيم الله -تعالىٰ-.

٥- من طرق تعظيم الله -تعالىٰ- إثبات صفات الكمال له كما أثبتها لنفسه، من غير تشبيه ولا تكييف، ويعتقد أن ذلك الوصف هو البالغ في الكمال المطلق له سبحانه.

٦- إذا عرف الإنسان أن الله -تعالىٰ- هو الخالق لكل شيء، وأن هذه المخلوقات العظيمة هي من خلقه؛ ازداد تعظيمًا له، وأن المخلوق مهما بلغ في العظمة يتضاءل أمام عظمة خالقه.

٧- ومن طرق الله تعظيم الله -تعالىٰ- أنه لا بدَّ من نفي صفات النقص والعيب عن الله -سبحانه- من كل الأوجه لأنه الكامل في كل الصفات الحسنة، ومن كماله -تعالىٰ- أن لا يتصف بأي صفة عيب أو نقص.

٨- هناك بعض الصفات التي ذكرت في القرآن الكريم لله -تعالىٰ-، كالمكر والخداع والاستهزاء، فلا يجوز وصف الله -تعالىٰ- بها إلا كما وصف نفسه -سبحانه-.

٩- النفي لصفات النقص أكثرُ دلالةً علىٰ تعظيم الله -جلَّ وعزَّ-؛ لأن الصفاتِ المثبتةَ يمكن أن يشاركه فيها المخلوق من حيث الاسم أو الوصف، أما النفي فلا يشركه فيها أحدٌ بأي وجه من الوجوه.

١٠- ومن طرق تعظيم الله -تعالىٰ- تعظيم مخلوقاته؛ لأنها تدل علىٰ عظمته وقدرته، والتفكر فيها يحصل للمتفكر معرفة أكثر، وإيمانًا أرسخ في قلبه.

١١- من أكثر المخلوقات التي حثنا الله -تعالىٰ- علىٰ التفكر والتدبر فيها: السماوات والأرض؛ وذلك لعظم خلقهما، وعجيب صنعهما، وما تحويان من أسرار كثيرة.

١٢- ومن طرق تعظيم الله -تعالىٰ- التقليل من شأن مخلوقاته علىٰ عظمها؛ وذلك لأنها جميعًا أما خالقها شيء بسيط، فهي تخضع له، وتذل لهيبته، وتأتمر بأمره.

ثانيًا - التوصيات

١- التوسع في دراسة طرق تعظيم الله -تعالىٰ- في القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة، واستنباط الهدايات منها.

٢- نشرُ الوعي في تعظيم الله -تعالىٰ-، وطرقِ التعظيم بين العامة عن طريق المطويات، أو وسائل التواصل الاجتماعي عن طريق قنوات موثوقة.

٣- إقامة ندوات ومحاضرات تثقيفية عن طرق تعظيم الله -تعالىٰ-.

المصادر والمراجع

١- الأدب الفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة، لأبي المعالي جلال الدين القزويني، المعروف بخطيب دمشق (٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل بيروت، ط٣.

٣- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني (١٤٢٥هـ)، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤- التحرير والتنوير (تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦- تفسير أسماء الله الحسنىٰ، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (٣١١هـ)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.

٧- تفسير أسماء الله الحسنىٰ، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد١١٢، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ.

٨- تفسير الراغب الأصفهاني، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني وغيره، كلية الآداب – جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٩- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨م.

١١- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
١٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٣- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ.
١٥- رسالة في تعظيم الله -تعالىٰ-، مجلة البيان علىٰ الشبكة العنكبوتية، أديب بن محمد المحيذيف.
١٦- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٧- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.
١٨- سورة النازعات [٤]، أ.د. أحمد القاضي، موقع العقيدة والحياة.
١٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٠- صفات الله -عزَّ وجلَّ- الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السقاف، الدرر السنة، دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦ه-٢٠٠٦م.
٢١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧م.

٢٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الحنفي أيوب بن موسىٰ القريمي الكفوي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنا درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٣- الكواشف الجليّة عن معاني الواسطية، عبد العزيز بن محمد السلمان، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٢٤- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢٥- الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، العبيكان للنشر، ط٧، ٢٠١٣.
٢٦- مجموع الفتاوىٰ، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٢٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب شعيب وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٠- مسند أبي يعلىٰ، لأبي يعلىٰ أحمد بن علي الموصلي (٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣١- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٢- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس الرازي (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٣- معنىٰ اسم الخالق والخلاق، الشيخ وحيد عبد السلام بالي، شبكة الألوكة، مقالات شرعية، عقيدة وتوحيد..
٣٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.
٣٥- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.